دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أحمد بابا التنبكتي وجهوده العلمية في الفقه المالكي
المصدر:	مجلة جامعة الزيتونة
الناشر:	جامعة الزيتونة
المؤلف الرئيسي:	حمودة، إصلاح محمد البخاري
المجلد/العدد:	ع9
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2014
الشهر:	صيف
الصفحات:	103 - 114
رقم MD:	839701
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink, EduSearch, IslamicInfo, HumanIndex
مواضيع:	التنبكتي، أحمد بابا، التراجم، الإنتاج الفكري، الفقه الإسلامي، المذهب المالكي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/839701

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

أحمد بابا التنبكتي وجهوده العلمية في الفقه المالكي

د/إصلاح محمد حمودة

بكلية الآداب والتربية - جامعة الزيتونة

مقدمة:

يمثل أحمد بابا التنبكتي ، إحدى العلامات المتميزة في الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الغربي خلال القرنين 10- 11 هـ ، 16- 17م حيث طلع نجمة في تنبكت ، وشع في مراكش ، وأضاء في مختلف الأقطار الإسلامية ، ويرجع هذا بالأساس إلى ما تركه من تراث فكري متنوع أغنى حقل الثقافة الإسلامية ، إذ له إسهامات في تواريخ الرجال و بها اشتهر، وله فتاوى فقهية في مشكلات عصره وله مؤلفات اغلبها لا يزال مخطوطا في الخزائن المغربية العامة والخاصة .

التعريف بأحمد بابا (اسمه ونسبه وولادته) :

في مدينة تنكبت تربي وترعرع احمد بابا التنبكتي، ونهل من مناهل المعرفة الصافية (1) فيها، فبرع في فنوات معرفية متنوعة ، وذاع صيته في الأفاق واشتهر أمره بين علماء السودان والمغرب والمشرق الإسلامي، وصفه السعدي بقوله : لا يناظر في العالم إلا أشياخه ، كان وقافا عند الحق ولو كان من أدنى الناس ، ولا يداهن فيه حتى الأمراء والسلاطين . واتفقت أغلب المصادر التي قامت بالتعريف بأحمد بابا التنبكتي على أن اسمه هو احمد بن احمد بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن عمر بن يحيى بن كدالة بن مكي بن نيق بن لف يحي بن تشيت بن تنفر بن حيراني بن النجر بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي الماسني 2 السوداني التكروري التنبكتي ، قد سمى بهذه الألقاب جميعا وعلى حدة ، أما صنهاجة ، فهي القبيلة التي ينتمي إليها وتنتشر في الصحراء الكبرى ، وكان آل أقيت على صلة بهم ، أما المسوفي فنسبة إلى مسوفة إحدى قبائل صنهاجة ، والماسني نسبه إلى ماسنة مسقط رأس جده محمد اقيت ، والتكروري قد اختلف في معناه .أما السوداني فنسبة إلى بلاد السودان ، وأما التنبكتي فنسبة إلى موطنه الأصلي ، الذي زاول فيه معظم نشاطه العلمي ومركز الإشعاع الثقافي ، والمكان الذي شهد نبوغه الفكري ومسقط رأسه وموطن صباه وشيخوخته ، وقد ترجم لنفسه في كتابه الديباج فقال : مولدي كما وجدته بخط والدي ليلة الأحد الحادي والعشرين من ذي الحجة عام تسعمائة وثلاث وستين . 3 أما عن موقع ولادته ففيه رأيان : الرأي الأول يقول : انه ولد في مدينة تنبكت ، وأما الثاني فيقول انه ولد بأروان التي تبعد عن تنبكت مسيرة عشرة أيام ، وهي الواقعة على الطرق التجارية بين تنبكت والشمال الأفريقي، وبدراسة الرأيين السابقين فإنني أرجح الرأي الأول منهما أي أن ولادته كانت في تنبكت، لأن احمد بابا لم يشر إلى مغادرته إياها إلا بعد الحكم المغربي للمنطقة ، وكذلك أسرته في تلك الفترة في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري – السادس عشر الميلادي .

---

(1) العباس بن إبراهيم المراكشي،الإعلام بمن حل بمراكش واغمات من الإعلام،تحقيق:عبد الوهاب بن منصور،المطبعة الملكية،الرباط، 1976م ص100

(2) احمد بابا التنبكتي،كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج تحقيق احمد مطبع خامس،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،2000م ص285

(3) ينظر المصدر السابق ، ج ، ص 55

نشأته العلمية (أساتذته وتلاميذه) وإنتاجه العلمي

أولاً : أساتذته :

نتحدث في هذا المبحث عن شيوخ أحمد بابا ، والأساتذة المباشرين الذين تلقى الدروس على أيديهم، وهم: أبوه وعماه أبو بكر والعاقب بن محمود بن عمر ، ومحمد بغيغ ، وأحمد بن سعيد ، وسنكتفي بهؤلاء وبعض الشيوخ الآخرين لكونهم أساتذة احمد بابا من الدرجة الأولى ، ورغم التقائه في المغرب بالعديد من المشارقة والمغاربة والأندلسيين ، فإننا نعدهم أساتذة من الدرجة الثانية والثالثة وسنكتفي بذكر أساتذته الذين ذكرهم في كتابة كفاية المحتاج ونيل الابتهاج . (4)

أحمد بن أحمد بن عمر التنبكتي :

والد أحمد بابا فقيه ، مفتٍ محدث ، من علماء المنطق ، ولد في تنبكت في سنة 929هـ/1522م ، أخذ عن عمه محمود الفقه والحديث والمنطق (5) تلقى منه أحمد بابا علومه ومعارفه الأولية يقول عنه في كتابة " نيل الابتهاج " كان علامة فهامة ذكيا ، داركا ، محصلا ، أصوليا ، منطقيا ، مشاركا كان قوي الشخصية ، عالي الهمة ، صلب الشكيمة ، شديد التواضع .وكان محل تقدير وإعجاب شديد لدى الأمراء والعامة وكان لا يتردد في استخدام نفوذه ، ولم يرد له طلب أبدا ، ومع ذلك كان شديد الصرامة مع الأمراء مثلما كان مع عامة الناس ، (5) لذلك كان الجميع يكنون له شديد الاحترام وكان الجميع يشيدون بنفوذه ومجده ولم يعارضه أحد وكان يحب أهل البر ، ويتواضع لهم ولا يحيف على أحد ، ويعطي كل ذي حق حقه . (7) درس أحمد اقيت في تنبكت مركز الإشعاع الثقافي على يد إمام تنبكت عمه الفقيه محمد بن عمر وغيره من الإعلام البارزين ثم رحل إلى المشرق سنة 956هـ ، ولقي إعلاما فاخذ عنهم كالناصر اللقاني ، والتاجوري ، والاجهوري (8) ،وقد استفاد احمد من هؤلاء ولكنه كان أكثر ملاصقة بمحمد البكري العالم المصري 994هـ / 1586م فقد اخذ عنه الكثير ، والشريف يوسف تلميذ جلال الدين السيوطي وجمال الدين بن الشيخ زكرياء ومن علماء الحجاز أخذ عن أمين الدين الميموني ، وابن حجر المكي ، وعبد العزيز اللمطي، وعبد المعطي السخاوي ، وغيرهم وانتفع بهم أيما انتفاع (9) . ثم رجع إلى تنبكت عالما متبحرا في العلوم الشرعية حاملا معه كتبا كثيرة أسس بها مكتبة علمية عريقة تحتوي على أمهات الكتب النفيسة والنادرة وبعد إن وصل تنبكت كرس جهوده في التصنيف والتدريس ، فدرس العلوم الشرعية في جوامع تنبكت وخاصة جامع سنكري أكثر من عشرين سنة إلى إن توفاه الله في 17شعبان 991 هـ/ 1583م ، وتتلمذ عليه بعض ابرز إعلام تنبكت من بينهم : الفقيه محمد محمود بغيغ ، وأخوه احمد يغيغ وابنه أحمد بابا التنبكتي الذي قال عن نفسه : " وحضرت أنا عليه أشياء عدة وأجازني جميع ما يجوز له وعنه وسمعت بقراءته الصحيحين والموطأ ، والشفا (10)

الشيخ محمد بغيغ :

هو الإمام محمد بن محمود بن أبي بكر الونكري عرف ببغيغ التنبكتي (11) ولد في مدينة جنى سنة ثلاثين وتسعمائة (12) ثم انتقل مع عائلته إلى تنكبت حيث قضى معظم حياته ، كان فقيها بارعا في كل

(4) ينظر محمد مخلوف، شجرة النور المزكية في طبقات المالكية، دار الفكر، تونس ،1968م،ص286
(5) التنبكتي،نيل الإبهاج بتطريز الديباج، مصدر سابق ص 141
(6) مصدر سابق ص 142
(7) ينظر محمد مخلوف مرجع سابق ، ص286، ينظر عبد الرحمن السعدي، مصدر سابق ، ص 42
(8) المصدر السابق ، ص 286
(9) المصدر السابق ، ص 286
(10) المصدر السابق ، ص 286
(11) التنبكتي، نيل الابتهاج مصدر سابق ، ص 287
(12) ينظر المصدر السابق، ص 600، 603

فروع الفقه الإسلامي ، وكان عادلا زاهدا ، وكان من بين تلك الشخصيات المتدينة ، يضاهيها ورعا وتقوى كان خيرا بالفطرة ذا قلب طيب رحيم ، وكان لا يرى في الناس إلا الطيبة يقول عنه أحمد بابا : كان يرى الناس سواسية ، ولا يتوسم إلا الخير في البشر ، وكان خدوما يسارع لنجدة الجار ، ويتألم لألم الآخرين وكان همه نشر الإخاء والوفاء بين الناس 13 .تلقى الشيخ محمد بغيغ العلوم الشرعية واللغة العربية على والده الفقيه محمود بن أبي بكر بمدينة جنى الحضارية ثم رجل إلى الحاضرة الثقافية تنبكت في سن مبكرة، واستأنف فيها مسيرته العلمية ، حيث لازم الفقيه احمد بن سعيد التنبكتي ، فأخذ عنه الفقه والحديث إلى إن برع فيهما 14، ثم رحل محمد بغيغ في رحلة إلى الحج ، صحبة أخيه احمد بغيغ وخاله، حيث التقوا ببعض علماء مصر مثل الناصر اللقاني، والشريف يوسف البرهموش، وفي الحجاز جلسوا في مجالس مع علمائها مثل التاجوري، والإمام ولي الله تعالى محمد البكري الصديق وغيرهما 15، ثم عادو بعد الحج إلى تنبكت لمواصلة تلقي العلم على أيدي أستاذيهما أحمد بن سعيد، واحمد بن احمد (والد أحمد بابا) الذي علمهما المنطق والبلاغة، وعلمهما احمد بن سعيد الفقه الإسلامي والأصول، وبذل بغيغ كل عمره في التدريس، وكانت روحه عالية بحق، ولم يستنكف أبدا عن تعليم مبتدئ أو جاهل وكان يقضي اليوم بطوله يعلم الناس دون كلل أو ملل 16 .وقد اشتهر بالولاية والصلاح، وكان أهالي المنطقة بعد وفاته يطلقون اسمه مركبا "محمد بغيغ على أولادهم 17 وقد قدم احمد بابا برنامج أستاذه اليومي فقال إن أستاذه كان يبدأ بالتدريس عند الفجر حيث يقدم دروسا عدة حتى العاشرة، ثم يعود إلى بيته لصلاة الضحى، حيث يعود إلى بيته فيعطى دروسا حتى العصر، وبعد الصلاة يقصد مكانا للتدريس أيضا حتى المغرب، ثم يدرس في المسجد حتى صلاة العشاء، ولا يعود إلى بيته إلا بعد العشاء، ويضيف قائلا: "لا أتردد في التأكيد انه كان عطوفا ومحبا لتلاميذه وللعلماء، يقول عنه: "انه كان يحب رجال العلم ويظهر لهم كل التقدير، وكان يوزع عليهم دون تردد كل الكتب النفيسة التي يملكها ولا يطلبها منهم يعد ذلك مهما كانت نادرة ويقول احمد بابا أيضا: "جئته ذات يوم اطلب كتباً في البلاغة فبحث في مكتبته، ثم سلمني دون تمييز كل ما وقع تحت يده من كتب البلاغة ، ويقول أيضا : "هذا الرجل جدير إن يكون مثالا يحتذي به المؤمنون في علمه وتقواه وحبه للإسلام، وتفانيه في خدمته وفي عزة نفسه وكرامته 18.

العاقب بن محمود بن عمر بن اقيت :

ابن عم والد أحمد بابا، ولد سنة 913هـ/1508م في تنبكت، واشتهر بالعلم والاستقامة حين عين قاضيا على هذه المدينة (19) وقد أشاد أحمد بابا خاصة باستقلاليته، وشدته مع الأمراء الذين لا يتردد في مخاطبتهم بحدة، فقد كان يتمتع بمزيج من الشدة والنزاهة رفعه فوق الشبهات، وكان يصدع برأيه إمام الملك بنفس صراحته إما العامة (20) اخذ العلم عن أبيه وعمه، ورحل إلى المشرق ولقي في طريقة الشيخ عبد السلام الأسمر، واخذ عنه التلقين، وأجازه الناصر اللقاني والتاجوري، وعلى بن عبد الرحمن البكري الملقب بأبي الحسن وقد قام العاقب بتعليم عدد كبير من شباب السودان من بينهم أحمد بابا الذي أخذ عنه التشريع والحديث (21) وأجاز أحمد بابا بمثل ذلك (22) توفى العاقب في تنبكت عام 991هـ/1583م .

أبوبكر بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت :

(13)ينظر الصدر السابق ، ص 603
(14)ينظر المصدر السابق ، ص 288
(15)ينظر عبد الرحمن السعدي، مصدر سابق، ص19
(16)ينظر المصدر السابق ، ص 601
(17)ينظر المصدر السابق ، ص 156
(18)ينظر محمود الزبير / مصدر سابق ، ص 20
(19)ينظر المصدر السابق ، ص21
(20)ينظر محمد مخلوف، ينظر مصدر سابق ، ص 286
(21)ينظر محمود الزبير / مصدر سابق ، ص21
(22) ينظر محمد مخلوف، ينظر مصدر سابق ، ص 286

هو عم الشيخ أحمد بابا، ولد في تنبكت عام 932هـ/1585م وكان عالما متصوفا خيرا، وقد أطنب أحمد بابا في الإشادة بكرمه وحلمه وتواضعه وتقواه ما اكسبه احترام معاصريه وتقديرهم كان عزوفا عن ملذات الحياة الدنيا شديدا على نفسه وعلى الآخرين، لا يتعب من صلاة ولا صوم، ويجد لذته وسعادته في تصوفه . تعلم على يدي والده وعمه القاضي محمود وأدى فريضة الحج في سن مبكرة، وشدته البقاع المقدسة 23 حتى سمي نزيل المدينة المنورة 24 ولذلك عاد إلى تنبكت فأخذ عائلته إلى المدينة المنورة حيث أقام فيها25 ويعتبر أول من علم احمد بابا النحو، له تأليف في التصوف منها الضعفاء في القناعة 26 توفي عام 991 هـ/1583م 27

أحمد بن محمد بن سعيد :

ولد عام 931هـ/1542م، وهو حفيد الفقيه محمود بن محمد، كان رحمه الله عالما بالفقه مطلعا مدرسا 28 ، درس على يد جده لامه "الرسالة"، "ومختصر خليل" واخذ عنه "المدونة"، ثم جلس للتدريس من عام 960هـ/1552م، درس عليه عدد من التلاميذ، وانتفعوا به، وكان من بين الذين درسوا عليه الإخوان محمد واحمد اقيت، أخذا عنه "الموطأ" و "مختصر خليل" وغيرها، كما أدركه احمد بابا وكان صغيرا في السن إلا انه حضر بعض دروسه 29.

ثانيا : تلاميذه :

درس أحمد بابا في مدينة تنبكت قبل رحيله إلى مراكش عدد كبيرا من التلاميذ السودانيين الذين حضروا من كل صوب إلى مجالسه العلمية، ولم أتمكن من الحصول على تلاميذه السودانيين في مرحلة ما قبل الرحلة المراكشية أما عند وصوله إلى مدينة مراكش فقد تحدثت جل المصادر التاريخية عن جمع من الأساتذة والطلاب والقضاة الذين توافدوا على مجالسه العلمية فجاء في المصادر التي ترجمت له على لسانه قوله "لما خرجنا من المحنة طلبوني للإقراء، فجلست بعد إباء بجامع الشرفاء بمراكش أقرأ "مختصر خليل" قراءة بحث وتدقيق وكذا تسهيل ابن مالك" و "ألفية العراقي" فختمت نحو عشر مرات تحفة الحكام لابن عاصم السبكي والحكم والجامع الصغير قراءة تفهم مرارا والصحيحين ومختصرها و"الشفاء"، و "الموطأ" و " المعجزات الكبرى للسيوطي" و "الشمائل والكلاعي" وغيرها ذلك .... وازدحم الخلق على واعيان طلبتها ولازموني بالإقراء على قضاتها 30 .

أما أهم تلاميذه المباشرين وغير المباشرين فهم : حسب تأثرهم وارتباطهم بأستاذهم، وأقدم نبذة عن كل منهم، واهم إنتاجه العلمي :

أبو القاسم بن محمد بن أبي نعيم الغساني:31

الغرناضي الأندلسي نسبا ، القاسي ولادة ومنشأ ووفاة ، من رهط أبي على الغساني، قاضي الجماعة بفأس وخطيب حضرتها العلية ، ولد عام952هـ/1455م كان خطيبا، ولكن قال عنه احمد بابا

(23) ينظر محمود الزبير / مصدر سابق ، ص 21
(24) ينظر محمد مخلوف، ينظر مصدر سابق ، ص 286
(25) ينظر محمود الزبير / مصدر سابق ، ص22
(26) ينظر محمود الزبير / مصدر سابق ، ص22
(27) ينظر محمد مخلوف، ينظر مصدر سابق ، ص 286
(28) محمد بن أبي بكر البركلي/ فتح الشكور في معرفة علماء التكروري، تحقيق/محمد الكتاني/محمد حجي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1980م،ص28
(29) ينظر المراكشي، مصدر سابق ، ج1،ص386
(30) ينظر القادري، مصدر سابق ، ص255
(31) المكناسي،جذوه الاقتباس،دار المنصور،الرباط1973،ج1،ص1

السوداني : "انه كان يعيب عليه وعلى غيره من الخطباء اعتناءهم بالأحاديث الموضوعة في الخطب ، كان تلميذا لأحمد بابا، واحمد المنجور، وأبي زكريا ، والسراج، كان – رحمه الله – من كبار الشيوخ الذين كانت لهم الشهرة والصيت في العلم، وكان متضلعا في الفنون، ماهرا في المعقول والبيان والتفسير ولي القضاء بفأس فحمدت سيرته، وكان خطيبا بليغا، أخذ عنه جماعة من أعيان فأس ، كالحافظ المغربي وابن عاشر ، وسيدي العربي، وسيدي احمد، وعلي السوسي، وسيدي عبد القادر والفاسي، والشيخ ميارة الأكبر، ولا اذكر له تأليفا لاشتغاله بخطة القضاء بل والفتوى في غالب الوقت، قال عنه سيدي احمد علي السوسي في "بذل المناصحة" 32 : سيدي أبو القاسم المعروف بابن أبي النعيم الغساني العلامة المدرس القاضي- رضي الله عنه – سمعت من لفظه كثيرا من صحيح البخاري بمراكش ، وحضرت عنده قراءة ألفية بن مالك، العباس المقري، ولازم الشيخ عبد الرحمن القاسى، وإنشاء عليه الشيخ ميارة ، وأطال عنه33 .

من مؤلفاته

إشراق البدر في التعريف بأهل بدر . و بذل المناصحة في فضل المصافحة. وصبغة تأملات في الدين والعلوم الإسلامية . و التعريف بالعشر الكرام والأزواج الطاهرة. نظم في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم 34.

أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني : -1041هـ / 1584 – 1631م :

مؤلف "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب"، و "روضة الأس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفأس، يتصل نسبة بالقاضي أبي عبد الله محمد المقري، ودارهم دار علم بتلمسان، والمقري نسبة إلى مقره : مدينة بين الزاب والقيروان، نزيل فأس ثم القاهرة .35 اخذ عن عمه سعيد المقري الفقه والحديث، وروى عنه الكتب الستة، وقرأ عليه البخاري سبع مرات، وسنده في ذلك متصل بالقاضي عياض، واخذ عنه الكثير من أهل المشرق والمغرب، ومنهم عيسى الثعالبي وعبد القادر الفاسى وميارة، من أهم مصنفاته:36نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب.ولي الخطابة والإمامة بجامع القرويين بعد وفاة الشيخ الهواري سنة 1022م ورحل إلى الشرق، وطار صيته ، حج ضمن حجيجه، وقرأ هناك، وتردد على دمشق ومصر.

أحمد بن محمد أبي العافية الفاسي المعروف "بابن القاضي":

المولود بمكناس عام 960هـ والمتوفى بفأس عام 1025م صاحب التأليف العددية في الفقه والحساب والهندسة والتاريخ والعلوم والفنون .درس ابن القاضي العلم طويلا في مراكش وفأس، ففي فأس كان أستاذة والده، وكذلك العالمان أبو العباس واحمد المنجور، ومحمد القصار، كما تتلمذ على أيدي كل من مفتي مراكش عبد الواحد السلجماسي، ويحي السراج، وابن جلال واحمد بابا وتلقى إجازة من معظم مدرسيه وقد نال شهرة في علم الحساب والجبر حيث قال عنه أحمد بابا : "انه كان يسبح في بحريهما كسمكة في الماء.

عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي :

(32) ينظر محمود الزبير، مرجع سابق، ص26
(33) ينظر الارواني، مصدر سابق، ورقة 83
(34) ينظر حسن جلاب، الدر النضير منظمة الايسيسكو الرباط1983م، ص11
(35) ينظر عبد الرحمن السعدي، مصدر سابق، ص18
(36) ينظر المصدر نفسه، ص18

مؤرخ سوداني وصاحب المؤلف الشهير "تاريخ السودان"، ينتمي إلى إحدى أكبر عائلات تنبكت وفيها ولد في غرة شوال1004هـ/1595م، ونشأ وترعرع بين جنبات مراكزها العلمية، وبين مجالس علمائها الأفذاذ الذين نهل من علومهم الشيء الكثير، مما خلق منه شخصية ثقافية بارزة أدت دورا مهما في تاريخ المنطقة .ويأتي في مقدمة شيوخ السعدي الفقيه احمد بابا التنبكتي، الذي اخذ عنه بعد عودته من رحلته المراكشية عام 1016هـ، وكان السعدي آنذاك في سن الثانية عشر ، أي في مرحلة الكتاتيب وتتلمذ أيضا على يد أبيه الذي علمه النحو والفقه، ومن أشياخه أيضا محمد بن احمد بن محمود بن أبي بكر بغيغ الونكري الذي كان له بالغ الأثر في حياة السعدي العلمية، وتولى عبد الرحمن السعدي وظائف دينية، منها إمامة جامع سنكري في عام 1036هـ/1637م التي استمر فيها حتى وفاته حوالي عام 1066هـم1655م، كما تولي مهام كاتب عدل في مدينة "جنى" وتأثر السعدي بأستاذه احمد بابا التنبكتي لدرجة أن المؤرخ والرحالة الألماني بارت اعتبر احمد بابا مؤلف "تاريخ السودان".ولقد ترك لنا السعدي كتابه الشهير "تاريخ السودان" الذي يعد رصيدا لتاريخ تنبكت، وقد سد فراغا كبيرا بالمعلومات التاريخية، كما وفر مادة مصدرية مهمة حول أوضاع الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي.

أبو عبد الله بن القاسم القصار :

ولد في فاس نحو 939هـ/1533م وتوفى عام 1012هـ/1603م، وكانت عائلته تعيش في غرناطة قبل خروج المسلمين منها عام 897هـ/1492م .درس على يد كبار العلماء كأبي النعيم الحيوي، ومحمد بن جلال بن خروف التونسي، واخذ عن البستيني، وعبد الوهاب الزقاق، وبن مجبر، وأبي القاسم بن إبراهيم الراشدي، والمنجور، ويحي الحطاب بسنده، وزين العابدين البكري، وانتفع به وأجازه شيخ الإسلام بدمشق أبو الطيب محمد المغربي، والبدر القرافي، وعنه جماعة منهم: أبو عبد الله بن أبي بكر الدلائي ، والشهاب المقري، ومحمد العربي الفاسي وعبد العزيز القشتالي وعبد الوهاب السلجماسي له مؤلفات مفيدة، وفهرسة جمعت روايته في الفقه والحديث، وامتحن مع الشيخين قاسم بن أبي نعيم، وقاضي الجماعة أبي الحسن على بن عمران .

أبو الحسن علي عبد الرحمن بن احمد بن عمران السلاسي الفاسي:

عالم وقاضي مغربي ولد بفاس نحو 960هـ/1553م عينه المنصور قاضياً، وتتلمذ على يد محمد القصار، واحمد القدوس، واحمد بن علي الزموري وغيرهم، وكان من بين تلاميذه احمد المكاري، وقد ذكره احمد بابا من بين تلاميذه، وأشاد بعلمه.

أبو العباس احمد بن محمد بن يحي التلمساي المكاري :

أديب وكاتب تراجم، مغربي، ولد في مراكش، وحضر بعض حلقات التدريس التي كان يعقدها احمد بابا واستفاد منها كثيرا، كما استفاد من مكتبته الثرية، وأجاز له احمد بابا تدريس أعماله، وأعطاه إجازات أخرى.

المصطفى بن احمد بن أبي بكر :

حفيد محمد بغيغ العلامة الذي درس احمد بابا التنبكتي في صغره وشبابه وقد لازم المصطفى احمد بابا كثيرا، واستفاد من علومه، ولد في تنبكت عام 973هـ/1566م، وتتلمذ على يد والده وعمه وغيرهما من العلماء الموجودين في السودان وخاصة احمد بابا التنبكتي الذي لازمه بعد عودته من الرحلة المراكشية ودرس عليه النحو، والحديث، والبلاغة، وقال السعدي عنه : "أنه كان هادئ الطبع ، لين العريكة، يتحمل هفوات الآخرين برحابة صدر كاملة توفي في اليوم الخامس من ربيع الأول عام 1025هـ الموافق 23 مارس 1616م.

محمد أكرادي محمد ساجو الفلاني :

هو احد أساتذة عبد الرحمن السعدي "صاحب تاريخ السودان" ورفيق والده قدم إلى تنبكت في سن الخامسة والعشرين، وتتلمذ على يد طائفة من كبار علمائها وشهد دروس احمد بابا بعد عودته، وكان مواظبا على دروسه في النحو والمنطق والشريعة يقول عنه السعدي : "انه ملك ناصية الكثير من العلوم وقد توفي في تنبكت يوم 5 صفر 1066هـ/1655م .

جهوده في الفقه المالكي :

يعد أحمد بابا من ابرز المؤلفين المهتمين بعلم الفقه، وكان يستعمل العلم سلاحاً في دفاعه عن الحرية ودعوته إلى الإصلاح، فقد كان متحمسا لدراسة فقه مالك، ودراسة كتبه،وتتبع رجاله حتى بلغ درجة الاجتهاد و الإفتاء، وقد ألف كتبا كثيرة في الفقه المالكي.وقد اهتم أحمد بابا بالفقه المالكي اهتماما خاص حتى غلب عليه في كتاباته الطابع الفقهي حيث اعتني بمختصر خليل عناية كبيرة، وتتبع شروحه وتلخيصه وناقش قضاياه، وتعقبها، وربطها بأمهات الكتب الفقهية، وقد اعتنى احمد بابا في بداية عهده بتأليف شرح على أشهر متن في الفقه وهو "متن خليل"، وقام بترتيب كتاب "المعيار" للونشريسي، وعند استعراض مؤلفات احمد بابا التي إلفها في مراكش يتضح لنا انه اهتم بمناقشة القضايا المذهبية الشرعية ، فقد كان مالكيا متحمسا لمذهبه تعرض لقضايا هامة في الزواج والطلاق والزكاة وغير ذلك، مما يهم المجتمع الإسلامي، وحلل ما يتعلق بها، وشرح رأى الفقهاء في كل منها .وقد اهتم أحمد بابا بالمصادر الأصلية التي كانت معروفة وتكتسي أهمية بالغة في المدارس الإسلامية ومجالس العلم، فأكمل وأضاف ما رآه يحتاج إلى الإضافة وفي بعض الأحيان كانت معالجته لبعض المؤلفات تتم عن طريق الاختصار ليسهل تداولها بين الناس.كما فعل عندما اختصر كتاب "المذاهب القدسية في مناقب السنوسية" لأبي عبد الله بن عمر، بل إنه قد يجد فائدة في إن يختصر مؤلفا ضخما ليكون في متناول من لا يسعفه وقته أو قدرته على القراءة والاستيعاب، وقد كتب أحمد بابا في شتى العلوم والفنون، فعندما يتناول أي مؤلف نجد قيمته فيما يحويه من فنون، وسعة فكره، فقد اعتمد على المصادر المتعددة في تصانيفه المختلفة فعند تأليفه نجده يرجع إلى الأمهات المالكية مثل كتاب "المدونة للإمام مالك راوية سحنون، وكتاب "ترتيب المدارك" للقاضي عياض وكتاب "السراج" للطرطوسي، "ومدخل ابن الحاج"، وكتاب "المعيار للونشريسي، وكتاب الإرشاد لابن مرزوق .وقد أسهمت هذه الكتب على اختلافها وتنوعها في تغذية فكرة وتنمية عقليته الفقهية الأمر الذي جعله شخصية علمية متميزة حظيت باهتمام كبير في الغرب الإسلامي عامة، وفي منطقة غرب إفريقيا خاصة وقد اهتم بمصادر الكتب الموجودة في عصره، وأخذ منها المعلومات بكل أمانة في النقل مع التزامه بقواعد التأليف .

وأهم مؤلفاته في الفقه المالكي ما يلي :

إرشاد الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف :

تلخيص لتنبيه الواقف آلفه في أخر جمادي الأولى 1041/أكتوبر 1606م – أوله : بعد البسملة والتصلية والدعاء الحمد لله وكفى وصلاته وسلامة على نبيه المصطفى واله وصحبه ومن لهم اقتفى قول الشيخ خليل رحمه الله تعالى في الإيمان وخصصت نية الحالف إلى أخره من المشكلات فاستبينه على ما هو المرتضى من التقريرات فتقول ..... أخره : هذا أخر ما قصدناه من حل هذا الموضع ملخصا من الكراسي الذي كتبناه عليه أولا وسميناه تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف ولنسمى هذا

المختصر بإرشاد الواقف لمعنى وخصصت نيه الحالف ... بتاريخ أخر جمادي الأولى عام 1014طبع على الحجر 1307هـ/1898م .37

إفهام السامع بمعنى قول خليل في النكاح بالمنافع أو النكت اللوامع في مسألة النكاح بالمنافع

أوله: الحمد لله وكفى وصلاته وسلامه على نبيه المصطفى قول الشيخ خليل رحمه الله تعالى في النكاح وفي منفعة بمنافع أو تعليمها قرآنا أو أحجاجها ويرجع بقيمة عمله، للفسخ وكراهته كالمغالاة فيه والأجل قولان، أقول هو كلام فيه إشكال فيما يظهر... أخره: فتأمله منصفا وبالحق محترما والله تعالى اعلم .

تم بحمد الله وحسن عونه ونقلته من خط مؤلفه احمد بابا فسح الله تعالى في مدته أمين نفس خط الناسخ محمد بن محمد المختار طبع على الحجر بفاس 1307/1898م .38

أنفس الإعلاق في فتح الاستغلاق من فهم كلام خليل في درك الصداق .

أوله: وبعد حمد الله الكريم الخلاق والصلاة على نبيه محمد صاحب الحوض والبراق وعلى اله وصحبه ذوي الشمائل الكرام وكرائم الأخلاق فهذا جزء سميته أنفس الإعلاق في فتح الاستغلاق من فهم خليل في درك الصداق وبالله تعالى استعين في تسهيل الصعب وجمع الافتراق .أخره: هكذا كان شيخنا العالم المحقق، سيدي محمد بغيغ يذكر لنا رحمته الله تعالى ونفعنا به فتأمله والله تعالى اعلم وبه التوفيق لا رب غيره وصلى على سيدنا ومولانا محمد اله وسلم على يد جامعه الفقير احمد بابا وفقه الله تعالى ونقلته من خط مؤلفة احمد بابا شفع الله المسلمين بطول حياته وأعاد علينا من بركاته أمين .

جلب النعمة ودفع النقمة بمجانبة الولاة الظلمة :

أوله: الحمد لله ..... فهذا جزء جمعت فيه تفسير بعون الله تعالى وقوته لما جاء التحذير من قرب الظلمة ومصاحبتهم والسعي إليهم وموانستهم طلبا لحطام الدنيا الفانية .... ويتحصل في فصول أربعة وخاتمة. أخره: وهذا أخر ما وضعناه في هذا المعنى وجمعناه في هذا المنحى.. وتم وضعه في سنة سبع وتسعين وتسعمائة على يد جامعه الفقير لربه احمد بابا .39

جواب عن القوانين العرفية التي تعارف عليها بعض سكان الجبل :

أوله: سؤال وجهه شيخنا أبو زكريا سيدنا يحي إلى وجهاء الوقت ونصه.... جوابكم لله تعالى فيما يفعله بعض أهل البادية أهل الجبل... الحمد لله إن هذا السؤال اشتمل على فصول .أخره: فهذا ما تيسر من جواب وبسطه بالنصوص.40

جواب عن ثلاث أسئلة :

توجد هذه النسخة في المكتبة الوطنية بالجزائر ضمن مجموعة تحت رقم 532 في تنبكت شوال 1024 – 19 نوفمبر 1616م 41

(37) ينظر المصدر نفسه ، ص18

(38) ينظر حسن الصادقي، محفوظات احمد بابا في الخزائن المغربية، منشورات معهد الدراسات

(39) ينظر محمود الزبير، مرجع سابق ص 44

(40) ينظر محمد الزبير، مرجع سابق ص45

(41) ينظر حسن الصادقي، مرجع سابق، ص15

الزند الوري في مسألة تخيير المشتري :

أوله: الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى قول الشيخ خليل في أواخر الخيار وخير المشتري إن غيب أو عيب . أخره : كمل بحمد الله تعالى ما قصد بيانه هنا من شرح كلام خليل في هذا الموضوع .42

درر الوشاح في فوائد النكاح :

ألف في 22 ذي القعدة 991هـ/7 – 1583م 43

شرح المختصر الخليلي:

ملاحظة هناك شروح أخرى للسوداني منسوبة لأحمد بابا توجد نسخ هذا المخطوط في الخزانة تمكروت تحت رقم 607 44

فتح الرزاق في مسألة الشك في الطلاق:

أوله: الحمد لله كما ينبغي لجلاله والشكر له على مزيد من أفضاله والصلاة والسلام على نبيه محمد واله صلاة وسلاما نجعلهما عدة ليوم الحشر وأهواله قول الشيخ خليل رحمه الله ولا يؤمران شك هل طلق أم لا انه يستند وهو سالم الخاطر ....أخره : وهذا كله حسب فهمي الفاتر ونظري القاصر فتأمله نقلا ومعناه والله تعالى اعلم وبه التوفيق 45 ضمن أجوبة الفقهاء .

فتوى حول ألواح جزولة :

ضمن أجوبة الفقهاء – انظر جواب عن القوانين العرفية – جمعها عبد الله بن سعيد الهرمي
الكشف والبيان لحكم مجلوب السودان :معراج الصعود – وحكم بيع العبيد – جواب سؤال عن أهل توات حول العبيد المجلوبين من السودان وعناوين أخرى 46 .

اللمغ في الإشارة لحكم تبغ

أوله: بعد البسملة ..... فقد أوقفني بعض المحبين في الله تعالى من طلبة درعه على سؤال حافل لبعض فضلاء العصر .. يتعلق بشرب دخان الورق المسمى تبغ طابة . أخره: فهذا ما تيسر كتبه على وجه الاقتضاب لعذر السفر فلذلك سميته اللمغ في الإشارة لحكم تبغ فان الله تعالى في مساعدة الوقت ومراجعة النقل بسطنا من وقتنا عليه إن شاء الله في حيز أخر مسمى بعين الإصابة في حكم طابة على يد جامعه الفقير لرحمة ربه احمد بابا احمد بن احمد ووافق الفراغ منه أذان المؤدين للظهر فرجوت الله تعالى قبوله وذلك يوم الخميس التاسع عشر من جمادي الثاني من عام السادس عشر وألف بتمكررت من بلاد درعه 47.

مئن الرب الجليل ببيان مبهمات خليل:

(42) ينظر حسن الصادقي، مرجع سابق، ص15
(43) ينظر محمود الزبير، مرجع سابق/ص25
(44) ينظر حسن الصادقي، مرجع سابق، ص25
(45) ينظر حسن الصادقي، مرجع سابق، ص26
(46) ينظر حسن الصادقي، مرجع سابق، ص27
(47) ينظر حسن الصادقي، مرجع سابق، ص30

أوله: هذه حاشية الفقيه العلامة المحدث أحمد بابا التنبكتي منشأ على مختصر خليل وسماها (منن الرب الجليل) وهذا أولها ... باب في الزكاة والذبائح وإحكامها وهذا الربع الثاني من المختصر بدأه بالزكاة لأنها كالتتمة للحج. أخره: وقد تمت هذه الحاشية المباركة إن شاء الله تعالى ضحوة الاثنين خامس عشر من ربيع الثاني من عام الثامن عشر والف أرانا وختمه في عافية هذا مع تشتت البال وتنكد الأحوال على يد جامعه الفقير لربه احمد بابا

كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج:

وهو ذيل لكتاب الديباج في معرفة أعلام المذهب المالكي الذي ألفه ابن فرحون ، ترجم فيه الشيخ أحمد بابا للفقهاء المالكين الذين جاؤوا بعد ابن فرحون – الكتاب محقق ومطبوع.

الخاتمة :

بعد هذه الرحلة الممتعة مع الشيخ أحمد بابا وجهوده العلمية في الفقه المالكي باعتباره إنموذجاً للتواصل الثقافي بين السودان الغربي والشمال الأفريقي متن خلال كتابات أحمد بابا التبنكتي تتضح النتائج والمقترحات والتوصيات التي ترى الباحثين أهميتها.

1 – أوضحت الدراسة أن شخصية أحمد بابا التنبكتي كانت قمة التواصل العلمي بين سكان جنوب الصحراء الكبرى وشمالها ونظراً لنشأتها في مدينة تنبكت في غرب إفريقيا ثم انتقاله إلى مدينة مراكش ومشاركته العلمية بتأليف عدد كبير من الكتب واهتمامه بالعلماء والفقهاء في منطقة إفريقيا والأندلس.

2– بينت الدراسة مساهمة أحمد بابا التنبكتي في إغناء المكتبة العربية بمجموعة مؤلفاته في المغرب أو تنبكت وإن كثرتها تدل على سعة مداركه وتحصله العلمي ، ومعرفته بكتب الحديث والفقه والتاريخ والتراجم وقد بلغ مجموع ما ألفه زهاء الستين مؤلفاً وقد كتب في العلوم المختلفة من أبرزها مؤلفاته في الفقه المالكي كتابه نيل الابتهاج في تطريز الديباج الذي ترجم فيه الفقهاء المذهب المالكي الذين جاءوا بعد ابن فرحون.

3 – أوضحت الدراسة الاتصال العلمي والثقافي وتعزيز العلاقات على جميع المستويات تيمنا بالسلف الصالح ، واقتداء بما كانوا عليه من تواصل وتواد وتراحم انعكس على الحركة الفكرية في ربوع البلدان حيث شهدت تنقلات الكثير من العلماء من منطقة إلى أخرى ومن حاضرة علمية إلى غيرها وانتقال طلاب العلم من بلد إلى أخر والتتلمذ على شيوخ الحواضر والمراكز العلمية ثم العودة إلى بلدانهم وكل ذلك أسهم في انتشار العلوم وتطورها.

التوصيات:

1 – عقد ندوات دورية تهتم بالعلماء والفقهاء الموجودين في أقطار العالم الاسلامي

2 – توجيه الباحثين إلى ربط العلاقة بالباحثين في البلاد الاخرى من أجل تبادل الخبرات الثقافية عن طريق تحقيق المخطوطات التي تساعد على تعميق التواصل الثقافي بين الشعوب الاسلامية.

(48)ينظر حسن الصادقي، مرجع سابق، ص 32

3- تيسر تنقلات العلماء والباحثين بين الأقطار العربية والأفريقية.
4 - تشجيع الزيارات العلمية المتبادلة بين هذه الاقطار لتساعد على تقوية العملية الثقافية بين الشعوب الإسلامية.
5- تسهيل عملية إنسياب الكتب والدوريات والمجالات والرسائل العلمية بين جميع الاقطار وحث الباحثين على إصدار مجلة متخصصة تنشر بحوثاً تتعلق بموضوع جهود العلماء في أقطار العالم الإسلامي كله.

الهوامش:

1-ينظر العباس بن إبراهيم المراكشي،الإعلام بمن حل بمراكش واغمات من الإعلام،تحقيق:عبد الوهاب بن منصور،المطبعة الملكية،الرباط، 1976م ص100
2-ينظر احمد بابا التنبكتي،كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج تحقيق احمد مطبع خامس،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المملكة المغربية،2000م ص285
3-ينظر المصدر السابق ، ج ، ص 55
4-محمود الزبير / أحمد بابا حياته وأعماله ، رسالة دكتورة السلك الثالث – جامعة السربون – فرنسا 1972 م ص11
5-ينظر محمد كعت – تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس – نشر هوداس باريس – 1964 م ص 108.
6-ينظر المصدر السابق ص 108
7-ينظر محمد مخلوف مرجع سابق ، ص286، ينظر عبد الرحمن السعدي، مصدر سابق ، ص 42
8-ينظر التنبكتي ، نيل الابتهاج بتطريز الدباج ، مصدر سابق ص141
9-ينظر المصدر السابق ص 142
10-ينظر المصدر السابق ، ص 286
11-ينظر التنبكتي، نيل الابتهاج مصدر سابق ، ص 287
12-ينظر المصدر السابق، ص 600 ، 603
13-ينظر الصدر السابق ، ص 603
14-ينظر المصدر السابق ، ص 288
15-ينظر عبد الرحمن السعدي، مصدر سابق، ص19
16-ينظر المصدر السابق ، ص 601
17-ينظر المصدر السابق ، ص 165
18-ينظر محمود الزبير / مصدر سابق ، ص20
19-ينظر المصدر السابق ، ص21
20-ينظر محمد مخلوف، ينظر مصدر سابق ، ص 286
21-ينظر محمود الزبير / مصدر سابق ، ص 21
22-ينظر محمد مخلوف، ينظر مصدر سابق ، ص286
23-ينظر محمود الزبير / مصدر سابق ، ص 21
24-ينظر محمد مخلوف، ينظر مصدر سابق ، ص 286
25-ينظر محمود الزبير / مصدر سابق ، ص22
26-ينظر محمود الزبير / مصدر سابق ، ص22
27-ينظر محمد مخلوف، ينظر مصدر سابق ، ص 286
28-ينظر محمد بن أبي بكر البرتلي/ فتح الشكور في معرفة علماء التكروري، تحقيق/محمد الكتاني/محمد حجي،دار الغرب الإسلامي،بيروت،1980م،ص28
29-ينظر المراكشي، مصدر سابق ، ج1،ص386
30-ينظر القادري، مصدر سابق ، ص255
31-ينظر المكناسي،جدوه الاقتباس،دار المنصور،الرباط1973،ج1،ص1
32-ينظر محمود الزبير،مرجع سابق،ص26
33-ينظر الارواني،مصدر سابق،ورقة83
34-ينظر حسن جلاب،الدر النضير منظمة الايسيسكو- الرباط1983م،ص11

35- ينظر عبد الرحمن السعدي،مصدر سابق،ص18
36- ينظر المصدر نفسه،ص18
37- ينظر المصدر نفسه ، ص18
38- ينظر حسن الصادقي،مخطوطات احمد بابا في الخزائن المغربية،منشورات معهد الدراسات
39- ينظر محمود الزبير، مرجع سابق ص 44
40- ينظر محمد الزبير،مرجع سابق ص45
41- ينظر حسن الصادقي،مرجع سابق،ص15
42- ينظر حسن الصادقي،مرجع سابق،ص15
43- ينظر محمود الزبير،مرجع سابق/ص25
44- ينظر حسن الصادقي،مرجع سابق،ص25
45- ينظر حسن الصادقي،مرجع سابق،ص26
46- ينظر حسن الصادقي،مرجع سابق،ص28
47- ينظر حسن الصادقي،مرجع سابق،ص30
48- ينظر حسن الصادقي،مرجع سابق،ص32